

تأثير الأصل الاجتماعي للأسرة على تعلم اللغات الأجنبية لدى الأبناء (مقاربة نظرية)

The effect of the family's social origin on children's learning of foreign languages (Theoretical approach)

طا. با. قدوري حنان^{1*}، فرار جمال²

¹ جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر (الجزائر)، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية،
hannane.kaddouri@univ-mascara.dz

² جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر (الجزائر)، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية،
dj.farfar@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/11 تاريخ القبول: 2024/05/06 تاريخ النشر: 2024/11/10

ملخص:

نحاول من خلال هذا المقال معرفة كيفية تأثير الأصل الاجتماعي للأسرة بكل ما يرمز له من تكامل في الوضعيات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، والتي تشكل بدورها الوسط الاجتماعي للفرد في تحديد مستوى تحكم الأبناء في تعلم اللغات الأجنبية، ونظرا لأهمية اللغات الأجنبية أصبح تعلمها ضرورة حتمية لما لها من تأثير في الحياة اليومية وتحديد لمكانة الفرد الاجتماعية، والأسرة من بين المؤسسات الاجتماعية التي لها دورا محوريا أساسيا في تنمية قدرات الطفل الفكرية والعقلية وتعمل على تزويده باللغة التي تكون مرافقة له في حياته الدراسية وحتى الاجتماعية والمهنية، من خلال استراتيجيات وممارسات تختلف هذه الاستراتيجيات من أسرة لأخرى باختلاف الأصل الاجتماعي لكل منها، كما تختلف عملية تعلم اللغات الأجنبية باختلاف الأشخاص والعوامل المؤثرة في ذلك هذا ما يستدعي تكاثف مختلف الأنساق الاجتماعية.

كلمات مفتاحية: الأسرة، الأصل الاجتماعي، اللغات الأجنبية، الرأسمال الثقافي، الرأسمال الاقتصادي، الرأسمال الاجتماعي

Abstract : Through this article, we are trying to find out how the social origin of the family has an impact on the social, economic and cultural situation that symbolizes it, which in turn constitutes the social environment of the individual in determining the level of control of children over the learning of foreign languages. Given the importance of foreign languages, their learning is essential because of their impact on daily life and the social status of the individual. The family is one of the social institutions that play a central role in the development of the intellectual and mental capacities of the child and is working to provide the child with the language that will accompany him or her in his or her educational, social and professional life, through strategies and practices that differ from one family to another in terms of social origin. The process of learning foreign languages is also different for different persons and factors that have an impact.

Keywords: family- social origin - Foreign language- Cultural capital- Economic capital- Social capital.

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

يعد الاهتمام بالتعليم إحدى الركائز الأساسية لتقدم أي نظام اجتماعي وثقافي واقتصادي وسياسي من خلال تكوين رأس مال بشري نوعي قادر على تحقيق الاندماج في المحيط الاجتماعي ومن المعايير التي يقاس بها تقدم أي دولة درجة الاهتمام بالتعليم واعتماد تغييرات واصلاحات تربوية في المناهج التعليمية كالاهتمام باللغات الأجنبية والبدئ بتدريسها في مراحل تعليمية مبكرة .

ونظرا لأهمية اللغات الأجنبية ودورها في تنمية القدرات والمهارات التعبيرية واللغوية أصبح تعلمها ضرورة حتمية لما لها من تأثير في الحياة اليومية وتحديد لمكانة الفرد الاجتماعية، إذ تعتبر أداة للتواصل عن طريق نقل المعارف والمعلومات ولا يقتصر دورها في الجانب المعرفي بل يتجاوزه للاطلاع على الجوانب الحضارية والثقافية للشعوب. وتؤدي الأسرة دورا محوريا أساسيا في تنمية قدرات الطفل الفكرية والعقلية وتؤثر في تشكيل أفكاره واتجاهاته وتكمن أهمية المجال الأسري بالنسبة للفرد في قدرته على نقل معايير وقيم مجتمعه ودمجها في ذاته لأداء أدواره والعمل على بناء هويته، فكل أسرة لها هوية اجتماعية وهابيتوس لغوي تسعى إلى إعادة إنتاجه في المجال الاجتماعي، وتقوم بذلك عن طريق نقل رأسمال الثقافي لأبنائها والمتمثل في المؤهلات الفكرية والثقافية من أجل تربيته الاجتماعية ويتم ذلك عن طريق التنشئة الاجتماعية وتفاعل أعضاء الأسرة فيما بينهم من خلال استراتيجيات وممارسات أسرية تختلف هذه الاستراتيجيات من أسرة لأخرى باختلاف الأصل الاجتماعي لكل منها كما تختلف عملية تعلم اللغات الأجنبية باختلاف الأشخاص والعوامل المؤثرة في ذلك هذا ما يستدعي تكاثف مختلف الأنساق الاجتماعية، ولعل الأسرة من أهم هذه النسق باعتبارها الوحدة الاجتماعية الأولى التي تحتضن الطفل في بداياته وتعمل على تزويده باللغة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية اللغوية، لكن هذه اللغة ونوعيتها ترجع إلى طبيعة ومكانة الأسرة واللغة المستعملة. فيها فغالبا ما نجد أن الاكتساب والتعلم الجيد للغة مرتبط بنوعية الأسرة ومكانتها الاجتماعية وحتى وضعيتها الثقافية والاقتصادية، وعليه فإن القاموس اللغوي الذي يتعلمه الطفل داخل الوسط الأسري يعد حصيلة ممهدة لتعلم لغة المدرسة سواء كانت اللغة العربية أو اللغات الأجنبية من خلال إتباع أساليب التنشئة اللغوية الصحيحة وتوفير الجو الأسري المناسب لهذه العملية.

من خلال هذا يمكننا طرح الإشكال التالي: كيف يؤثر الأصل الاجتماعي للأسرة في تحديد مستوى تحكم الأبناء في اللغات الأجنبية؟ وهل يعكس مستوى تعلم اللغات الأجنبية عند الأبناء مستوى معين من رأسمال الثقافي والاقتصادي والاجتماعي للأسرة؟.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في تحقيق الأهداف التالية:

- معرفة دور انتماء الأسرة وأصلها الاجتماعي في تحديد المستوى اللغوي للأبناء من خلال التفاوت الاجتماعي التي تحتله الأسرة.
- محاولة معرفة دور التواصل الذي تلعبه الأسرة في مساعدة أبنائها على تعلم اللغات الأجنبية من خلال المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي.

1. اللغات الأجنبية وأهمية تعلمها:

1.1. مفهوم اللغات الأجنبية:

اللغة الأجنبية هي لغة ثانية يتم تعلمها بطريقة إرادية بعد اللغة الأم نتيجة لرغبة الفرد و حاجته إليها، للتمكن من إتقانها يتم اكتسابها بالممارسة اللغوية ما بين الأسرة والمدرسة ومختلف الوسائط التعليمية المتنوعة كالدورات التكوينية، والدروس الخصوصية، ومدارس التعليم المكثفة للغات إضافة إلى عوامل أخرى متعلقة بالمتعلم كالرغبة الذاتية والقدرات العقلية المتمثلة في الذكاء، والإدراك والتفكير.

و"يقصد بتعلم اللغة الأجنبية قدرة الفرد على استخدام لغة أخرى غير اللغة الأم التي تعلمها في الصغر وأن يكون قادرا على فهم رموزها عندما يستمع إليها ويتمكن من استعمالها إما كلاما أو قراءة أو كتابة، ويكون تعلم اللغة الأجنبية على مستويين أولهما: استقبال هذه اللغة وثانيهما توظيفها بمعنى اكتسابها ثم استخدامها، كما يقصد بها مجموعة العمليات النفسية والتعليمية التي تمكن المتعلمين من ممارسة المهارات اللغوية المختلفة طبقا لمستوى معين من الأداء". (طعيمة، ر، أ، 2000، ص.241)

1.2. أهمية تعلم اللغات الأجنبية:

يعتبر تعلم اللغات الأجنبية إلى جانب اللغة العربية إحدى الوسائل التي يستفيد بها الأفراد من النهضة العلمية والتطور التكنولوجي، وأصبح تعلمها ضرورة حتمية كونها تؤثر في الحياة اليومية وتحدد مكانة الفرد الاجتماعية، وتعتبر اللغات الأجنبية أداة للتواصل عن طريق نقل المعارف والمعلومات ولا يقتصر دورها في الجانب المعرفي فقط بل يتجاوزها إلى الاطلاع على الجوانب الثقافية

والحضارية للشعوب الأخرى والتواصل بين الثقافات المختلفة مما يجعل الفرد أكثر وعياً بثقافته وهويته، كما تعتبر وسيلة للتفتح والتزويد بمختلف الوسائل التي تساعد للالتحاق بالعصرنة والحدثة لإثراء الزاد العلمي والارتقاء بالمستوى اللغوي، وتكمن أهمية تعلم اللغات الأجنبية في تعزيز القدرات التعبيرية واللغوية للفرد حتى يتمكن من التواصل العلمي ومواكبة التطورات الحاصلة في مختلف المجالات، من خلال الاطلاع على المصادر والكتب العلمية والتكنولوجية والاتصال بمواقع البحث عبر شبكة الانترنت للوصول المباشر إلى المعارف العلمية والتقنية الجديدة بهدف ضمان تكوين ناجح في مختلف أطوار التعليم بحكم أن نسبة عالية من المؤلفات الفكرية نجدها باللغات الأجنبية.

وبالنسبة لأهداف تعلم اللغات الأجنبية نذكر البعض منها في النقاط التالية:

- "اكتساب وسائل التعبير الكتابية والشفوية، ومعرفة الأدب والثقافة وتنمية التفاهم الدولي وإتقان المصطلحات التقنية والعلمية والمهنية، وتنمية المهارات التحليلية والتركيبية من خلال التواصل بين الأشخاص". (خرما، ن، حجاج، ع، 1988، ص.223)
- "نتيح للأفراد اكتساب الخبرات المباشرة من خلال الاتصال المباشر بزيارة البلدان المتقدمة وتعلم لغاتها، فالإتصال والتفاهم بين مجتمع وآخر لا يتم إلا بمعرفة اللغات الأجنبية وتعلمها". (وطاس، أ، م 1988، ص.241)

2. التباين اللغوي والانتماء الاجتماعي:

تعد الأسرة المسؤول الأول في تكوين شخصية الأبناء، وتؤثر في تكوين أفكارهم واتجاهاتهم بدءاً بالجوانب المتعلقة بشخصياتهم وصولاً إلى اختياراتهم الدراسية والمهنية من خلال استراتيجيات وممارسات أسرية تختلف باختلاف ما تمتلكه كل الأسرة من رؤوس أموال ثقافية واقتصادية واجتماعية والتي تشكل مجملها الأصل الاجتماعي، فالمكانة الاجتماعية والمستوى الثقافي والتعليمي للوالدين والوضع المهني ومستوى الدخل هي مؤشرات تعتمد عليها الأسرة في نجاح الفعل التربوي الأسري والتي تؤثر على نمط التفكير لدى الأبناء. فتبدأ آلية النمو الاجتماعي عند الطفل داخل الأسرة التي تساعد على اكتساب قيم ومعايير ومبادئ تمكنه من أداء أدواره المستقبلية والاندماج في المجتمع ثم تتواصل في المدرسة التي تعتبر ثاني مؤسسة تعليمية تربوية في حياة الطفل باختلاف بينها وبين الأسرة في العملية التكوينية التي تكون في إطار رسمي ومنظم بواسطة برامج ومناهج تربوية رسمية، مع بقاء

استمرارية التأثير الأسري من خلال ما تم اكتسابه سابقا إضافة إلى المتابعة المستمرة لما يتلقاه الطفل في المدرسة من معارف وخبرات كتعلم اللغة والدين والثقافة والعلوم واللغات الأجنبية كالفرنسية والانجليزية التي أصبحت تدرس في المرحلة الابتدائية.

ويعرف التباين اللغوي على أنه "الاختلاف القائم بين الأفراد اللذين يتبنون أنماط مختلفة من التعبير من حيث الرموز اللغوية المستخدمة والتراكيب الدلالية التي تحملها هذه الرموز والقدرة على الاستمرار في الكلام والدقة في الوصف والاهتمام بالتفاصيل وطول الجمل واختيار الألفاظ والمفردات المناسبة، إضافة إلى ما يتمتع به كل فرد من رصيد لغوي وهي مؤشرات تختلف باختلاف الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد". (تلي، ن، طويل، ف، 2021، ص.201)

فمستوى اللغوي للطفل يتحدد بمستوى وطبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية للبيئة التي ينتمي إليها، وفي دراسة عن الاختلافات في المستويات اللغوية حسب الأصل الاجتماعي والاقتصادي وجدت "مورييت كايو" Mouriette Gayau أن المهارات اللغوية تتأثر إلى حد كبير بالوسط الاجتماعي للأسرة بفضل المستوى الثقافي والتعليمي للأبوين والإخوة تشكل مناخا لغويا مناسباً يحتوي على الكثير من المحفزات اللغوية والثقافية المتمثلة في السلوك التربوي للآباء المثقفون اللذين يتميزون بمستوى لغوي سواء أكانت لغة عربية أو لغات أجنبية يستطيعون من خلالها استعمال مفردات وألفاظ لغوية متنوعة وهادفة واستخدام أسلوب الحوار مع أبنائهم هذا ما يجعلهم يستفيدون من تنوع وثراء في القاموس اللغوي، أما ضعف المستوى الثقافي والتعليمي للآباء يمكن أن يؤثر سلباً على لغة الطفل مما يقلل من فرصه لاكتساب وفهم أفضل للغة.

ويؤكد "بازل برنشتين" Bazil Bernstein أن أبناء الطبقة الوسطى يتعرضون لعبارات لغوية أشد تهذيباً وصقلاً يجعلهم ذلك يتعلمون نظاماً لغوياً أشد تعقيداً وأرفع ثقافة من ذلك النظام المحدود الذي يكتسبه أبناء الطبقة الدنيا وأن هذا الفرق يؤدي بدوره إلى زيادة قدرة الطفل من أبناء الطبقة المتوسطة على القيام بتواصل اللفظي والنشاط العقلي المعقد، في حين أن ما يتعرض له أبناء الطبقة الدنيا من نظام لغوي محدود يجعلهم أقل قدرة على القيام بتفكير المجرد". (Bazil, b, 1975, p.192)

وهذا ما توصلت إليه العديد من الدراسات السوسولوجية التي حددت أن التباين اللغوي بين الأفراد سببه الاختلافات الاجتماعية والثقافية وأن مستوى لغة الطفل يتحدد بمستوى وطبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية للبيئة التي ينتمي إليها، فالطفل يكتسب لغته من الأسرة كما أن مسؤولية تلقينها تقع على عاتقها، فالمفردات التي يكتسبها الطفل تتحدد بواسطة المركز الاجتماعي للوالدين ويرتبط تطور المهارات اللغوية وتنوعها إلى حد كبير بالفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها هؤلاء الأفراد، فكل فئة تعمل على تنشئة أفرادها وفق قيم ومعايير خاصة تختلف عن تلك التي تتبناها فئة أخرى.

3. الأصل الاجتماعي وتعلم اللغات الأجنبية:

تعتبر الأسرة الوحدة الاجتماعية الأولى في بناء المجتمع، فهي الأساس الأول في تكوين الاتجاهات الرئيسية للفرد أثناء التنشئة الاجتماعية من مرحلة الطفولة وحتى مراحل دراسية مختلفة، ومن بين المسؤوليات الملقاة على عاتقها نقل القيم والمعايير ومجموعة من الأهداف الثقافية والاجتماعية والتربوية حتى يستطيع الاندماج مع ثقافة مجتمعه، وهذا بالاعتماد على الحالة الاجتماعية والاقتصادية وكذا المستوى الثقافي والتعليمي للوالدين الأمر الذي أكدته "بيار بورديو" و"باسيرون" Pierre Bourdieu et Jean Claude Passeron بأن الأصل الاجتماعي له تأثير في جميع ميادين وشروط الحياة، فالأسرة من المؤسسات التعليمية الأكثر تأثيراً على التطور اللغوي للأطفال وتكمن أهمية المجال الأسري بالنسبة للفرد في نقل القيم والمعايير ودمجها في ذاته لأداء أدواره في المجتمع والعمل على بناء هويته، فكل أسرة لها هويتها الاجتماعية التي تسعى إلى إنتاجها أو إعادة إنتاجها في المجال الاجتماعي الذي تتفاعل فيه من خلال رؤوس أموالها المختلفة كالرأس المال الثقافي والاجتماعي والاقتصادي. والإنسان لا يولد مكتملاً بفطرته بل يكتسب لغة المجتمع الذي نشأ فيه من خلال العديد من الآليات المساعدة على اكتسابها كالمملكة الفطرية، والرغبة الذاتية والمحيط الأسري ودوره في المساهمة في تنمية الرصيد اللغوي للطفل سواء بالنسبة للغة الأم أو اللغات الأجنبية.

1.3. الأصل الاجتماعي:

يشير الأصل الاجتماعي إلى الروابط والعلاقات الاجتماعية والأسرية التي ينتمي إليها الفرد ويمكن تحديده بمجموعة من المؤشرات الاقتصادية كالدخل المادي، والثقافية كالممتلكات الثقافية والمستوى التعليمي والثقافي للأبوين، والاجتماعية كالعلاقات الأسرية والمكانة الاجتماعية، والوضع المهني، ويعمل الأصل الاجتماعي على تحديد البنيات الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية داخل المجتمع ويحدد

العلاقات السائدة ويعمل على بناء الوعي الاجتماعي لدى الأفراد والفئات الاجتماعية ويؤسس لقيم ثقافية واجتماعية بحسب انتماءات الأفراد وهناك أشكال متعددة من رأس المال كـ رأس المال البشري والسياسي والرمزي إضافة إلى الرأس المال الاجتماعي و الثقافي والاقتصادي.

2.3. الرأس مال الاجتماعي:

"هو مجموع الموارد الموجودة أو المحتملة المرتبطة بامتلاك شبكة دائمة من العلاقات القائمة على المعرفة المتبادلة والمتداخلة في سياق الانتماء إلى جماعة معينة تربطها معا روابط دائمة وجديرة بالاهتمام توفر لكل عضو أساسا من الثقة والأمن الجماعي". (شوفالييه، س، شوفيري، ك، 2013، ص.ص. 63-64) ويقاس بعدد من المتغيرات أو المؤشرات كطبيعة ونوع السكن حجم الأسرة وتشكيلها ومكان الإقامة، و نوع العلاقات والمكانة الاجتماعية للأسرة داخل المجتمع.

3.3. الرأس مال الثقافي:

يشير الرأس مال الثقافي إلى مختلف الموارد الفكرية والثقافية التي يمتلكها الفرد ويشمل هذا النوع من رأس المال العناصر غير المادية مثل المعرفة والتعليم واللغة والمهارات الثقافية والفنية، ويعتبر جزءا مهما من التنمية الشخصية والثقافية للأفراد .

ويتجسد رأس المال الثقافي في ثلاث مظاهر رئيسية:

- مظهر ذاتي (مندمج): يتخذ دائما من المؤهلات أو المقتضيات.
- مظهر موضوعي (مشيئ): يتمثل في الأشياء المرتبطة بالثقافة كالكتب، الرسومات الفنية، الآلات الترفيهية... إلخ
- مظهر مؤسسي: يظهر في الألقاب والشهادات العلمية التي تعطي لهذا الصنف من رأس مال أصالة ينفرد بها (Bourdieu, p., 1979, pp.03-06).

وتقاس مستوى ثقافة الأسرة بعدة متغيرات كالمستوى التعليمي واللغوي للوالدين ودرجة اهتمامهم بالفنون والآداب والثقافات وتوفير الوسائل التعليمية والتثقيفية المتنوعة كلها تمثل مجموع القدرات والمهارات الثقافية واللغوية التي تمثل الثقافة السائدة داخل الأسرة.

4.3. الرأسمال الاقتصادي:

ويقصد بالرأسمال الاقتصادي الموارد والممتلكات المادية للأفراد تتضمن الأموال والعقارات والاستثمارات ويقاس بمجموع المداخل الشهرية والسنوية ومصادر الرزق والممتلكات من منازل وسيارات، وعقارات....إلخ.

4. تأثير الأصل الاجتماعي للأسرة في تعلم اللغات الأجنبية لدى الأبناء:

لكل وسط اجتماعي معايير الفكرية والمادية وأنماطه من العلاقات الاجتماعية السائدة فيه وبما أن اللغة ليست نظام تواصل مع الآخرين فحسب بل هي نظام تواصل مع المجتمعات بمعاييرها الفكرية والمعرفية، فسيكون هناك تفاوت معين في مستوى ومضمون وشكل اللغة السائدة داخل كل مجتمع "(وظفة، ع، أ، 2013، ص.20) فالأصل الاجتماعي للفرد من أهم المؤشرات الدالة على الاختلاف والتمايز بين الأفراد وكل أسرة تعمل على نقل وتوريث لأبنائها رؤوس أموالها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر على نمط التفكير والاختيار لدى الأبناء

1.4. تأثير المستوى الاجتماعي للأسرة:

للعوامل الأسرية دور مؤثر في اكتساب اللغة ومهاراتها والأثر اللغوي للطفل يكتسبه من الأسرة وخاصة الوالدين والأخوة، وتتم عملية النمو اللغوي بفضل إفساح المجال للطفل لكي يتفاعل ويتصل بالآخرين، الأمر الذي يساهم في ازدياد وثراء اكتسابه للمهارات اللغوية، ومن ثمة فإن اتساع المحيط على مستوى الأسرة يساعد على اكتساب وتحصيل اللغة ويمنحه فرص مناسبة للتفاعل والاحتكاك بالغير والتعبير عن مشاعره وحاجاته، "فاللغة تحدد نوع العلاقة داخل الأسرة أو بين الأسر المماثلة لها ومن خلال التفاعل اليومي بين أفراد الأسرة يكتسب الأبناء في كل مرة مفردات جديدة تضاف إلى رصيدهم اللغوي في اللغات الأجنبية، وكلما اتسع نطاق بيئة الطفل زاد نموه اللغوي فالعلاقات داخل الأسرة تمارس تأثيرا إيجابيا على تنمية المكتسبات الفكرية عند الأبناء. (صديقي، م، ميهوبي، أ، 2022، ص.267)

وتشير المكانة الاجتماعية إلى وضع الأسرة في النسق الاجتماعي من خلال علاقاتها مع الآخرين والمركز الاجتماعي الذي يشغله كل فرد من أفرادها وتحدد بعدة مؤشرات منها الاجتماعية والاقتصادية، والثقافية وتلعب دورا فعالا في عملية التنشئة اللغوية، فالأطفال اللذين ينتمون إلى أسر

ذات مكانة اجتماعية راقية يكونون أكثر حظا من حيث فرص النجاح مقارنة بأقرانهم المنتمين إلى الأسر الفقيرة.

بمعنى كل فئة تورث لأبنائها أنماط التفكير الخاصة بها كما تورث لهم نوعية اللغة المستخدمة داخل الأسرة ونظرا لوعيمهم بأهمية تعلم اللغات الأجنبية وتأثيرها على مستوى تحصيلهم الدراسي و نجاحهم المهني تسعى كل أسرة تحظى بمكانة اجتماعية متميزة في المجتمع للاهتمام بتعليم أبنائها لأكثر من اللغة، كما تسعى إلى رعاية نموهم اللغوي لكي يكون نمو سليما وذلك من خلال تقديم نماذج لغوية صحيحة للطفل والاهتمام بمفرداته وسلامة الجمل من الأخطاء وحسن نطق المفاهيم والمفردات.

ويظهر الأثر الإيجابي للأسرة على الطفل من الناحية اللغوية من خلال ما توفره من أساليب تربوية ومثيرات مختلفة مساعدة في تنمية مهاراته اللغوية من خلال اللغة الثرية بالمصطلحات والمفاهيم الهادفة تساعد على النجاح بصفة عامة، وعلى امتلاك مستوى التحكم في اللغات الأجنبية بصفة خاصة، فدور الأسرة في عملية تعليم أبنائها ونجاحهم في تعلم اللغات الأجنبية يرتبط بضرورة توفير محيط أسري يتميز بالحوار والاتصال الفعال والاهتمام والمتابعة المستمرة، فالوسط الاجتماعي له علاقة في تطوير النمو اللغوي للطفل، حيث أن الأسرة التي تتميز بمستوى اجتماعي جيد يكون لها دور كبير في الاهتمام بلغة أطفالها سواء كانت هذه اللغة أجنبية أو اللغة الأم الأصلية.

2.4. تأثير المستوى الثقافي للأسرة:

"لقد بنى بورديو نظريته من المقولة الرئيسية هي أن الثقافة وسط يتم به ومن خلاله عملية إعادة إنتاج بنية التفاوت الطبقي وقد استند في إثباتها إلى مفهومين نظريين "رأس المال الثقافي" و"الهابتوس" (شبل، ب، بيلوي، ح، 2003، ص.105) اللذان يعتبران مجموعة من الكفاءات والقدرات الفكرية المتوارثة عن الأسرة أو المكتسبة من خلال عملية التعليم.

ويتحدد المستوى الثقافي للأسرة بجملة من المؤشرات الفكرية والتربوية التي تحيط بحياة الأفراد كالمستوى التعليمي للوالدين، نمط تفكير ونوعية لغة الحوار المستعملة داخل الأسرة، كما تعتبر الأدوات الثقافية المتوفرة في المنزل من (كتب، وقواميس، ومجلات، أشرطة وألعاب تعليمية ...) من المؤشرات الهامة في دراسة المستوى الثقافي للوسط الأسري وغالبا ما يكون لها أثر إيجابي من خلال

زيادة رصيدهم اللغوي والمعرفي والاهتمام بتنمية مواهبهم منذ الصغر، فثقافة وتعليم الوالدين عوامل مساعدة تكسبهم الأسلوب والطريقة الصحيحة في تربية الأطفال من خلال الإجابة على استفساراتهم ومشاركتهم باستمرار، وتشجيعهم على التعبير والمطالعة هذا ما أكدته اللغوي الفرنسي "مارسيل كوهين" Marcel Cohe من خلال النتائج التي توصل إليها في دراسته فقد وجد أن "الأطفال يتمتعون بأفضل الظروف للنمو والاكتساب اللغوي عندما تتم رعايتهم بهدوء تام وباجتهاد وتفانٍ منقطع النظير من قبل الآباء والأمهات ومقدمي الرعاية المؤهلين والواعيين بهذا الواجب." (سيرجيو، س، 1991، ص.93).

ومما لاشك فيه أن المستوى التعليمي والثقافي للوالدين له تأثير في تعلم الطفل اللغة الأجنبية خاصة إذا كان أحد أفرادها يتقن اللغة ذاتها التي يتعلمها الطفل في المدرسة، فتعلم الآباء له أثر على مستوى الأبناء من خلال تحصيلهم الدراسي عامة واللغوي خاصة، وذلك بالمساعدة وتوفير البيئة الأسرية المليئة بالعلم والثقافة والتي تعمل على إثراء القاموس اللغوي بالتوجيهات اللازمة والرعاية المستمرة من خلال تهيئة الظروف الملائمة لذلك، كالاتصال والتواصل الهادف (التحدث داخل المنزل باللغات الأجنبية) التشجيع على القراءة والمطالعة والحوارات داخل الأسرة المتعلقة بأمور الدراسة (التعبير الجيد، ثراء وتنوع المصطلحات والمفاهيم) المساعدة على حل الوظائف المنزلية باللغة الأجنبية والحث على قراءة الجرائد ومشاهدة القنوات والبرامج التلفزيونية باللغات الأجنبية " فالأسر المثقفة تتابع وتهتم بنجاح أطفالها باستمرار فهم يختارون مدرسة أطفالهم، ويشركونهم في المكتبة، ويوفرون لهم حصص دعم إضافية ويشجعونهم على القراءة، ويساعدونهم على تلبية متطلبات النمو الفكري والمعرفي، ويشجعونهم على البحث والمبادرة والتجريب، ويوفرون لهم فرص اكتشاف ميولهم وقدراتهم الخاصة، ويوجهونهم للاستفادة منها واستغلالها". (سميرة، أ، 1993، ص.67) مما يساعد على نمو مفردات الطفل اللغوية بصورة أفضل، أي أن الأسر المتعلمة تنجح في الرفع من مستوى تحكم أبنائها في اللغات الأجنبية بسبب وعيهم بضرورة تعلم اللغات وأهمية اكتسابها إضافة إلى امتلاكها آليات الاتصال والتواصل الفعال (يساهم التواصل بلغات متعددة في توسيع آفاق الطفل وزيادة فهمه للتنوع اللغوي والثقافي) وبالتالي فإن المستوى التعليمي للوالدين له أهمية كبيرة في مساعدة الأبناء على تنمية الملكة اللغوية ويحفزهم أكثر على تعلم لغات جديدة لأنهم على دراية بأهميتها في مسارهم الدراسي وحتى المهني، كما يمكن أن يكون سببا في تدني مهارات الطفل اللغوية وحتى المعرفية إذا كان المستوى الثقافي والتعليمي محدودا أو متدنيا.

وهو ما توصلت إليه نتائج دراسة كل من "مسوس عمرو ومصباح فوزية" للمستوى التعليمي للوالدين دور في اكتساب اللغات الأجنبية فهو يمثل الدعم الذي يكسب التلاميذ رصيد لغوي معتبر في التعامل مع مختلف المواقف اليومية وخاصة التربوية من خلال سعيهم على نقل وتلقين المعارف والمكتسبات باللغات الأجنبية بهدف تحقيق أعلى درجة من الاكتساب والتعلم لضمان تحصيل جيد من جهة ولمعرفة الوالدين بضرورة تعلم هذه اللغات لما تحتويه الأطوار القادمة من تخصصات ومواد يحتاج فهمها إلى وجود أرضية على شكل رصيد لغوي لدى التلاميذ، فامتلاك الأسرة للعناصر التعليمية الثقافية له أهمية في نجاح وتفوق الأبناء مقارنة بالأسر التي تفتقد لمقومات رأس المال الثقافي.

3.4. تأثير المستوى الاقتصادي للأسرة:

يرتبط المستوى الاقتصادي للأسرة بالإمكانات المادية من المداخل والثروات وكذا التسهيلات التي تقدمها الأسرة لحدوث العملية التعليمية، فالدخل المادي يساهم في توفير الوسائل التربوية والثقافية داخل الأسرة التي تنفق جزءا من دخلها في عملية التعليم، ويعتمد الآباء على أساليب تساعد أبنائهم في تعلم اللغات الأجنبية كالتسجيل في مراكز التعليم المكثفة للغات، ثقافة الإنفاق على الدروس الخصوصية، تحفيزهم وتشجيعهم من خلال توفير الكتب، والمجلات، والقواميس، والقصص وشبكة الانترنت كل هذه المؤثرات تساهم بشكل أو بآخر في تشجيع الأبناء على تعلم اللغات الأجنبية وذلك نظرا لوعيمهم بأهمية تعلمها وأثرها الإيجابي في مسارهم الدراسي وحتى المهني، فالأسرة تعمل على توفير عوامل ووسائل النجاح المادية والمعنوية المساعدة في النجاح الدراسي للتلميذ وفي درجة تحكمه في اللغات الأجنبية، فتوفير مثل هذه التسهيلات يؤثر بالضرورة ويساعد على تعلم اللغات الأجنبية.

الأمر الذي أكدت العديد من الدراسات التي توصلت إلى نتائج مفادها أن الرأسمال الاقتصادي للأسرة يرتبط مباشرة بحاجات التعلم، فالأسر التي تستطيع أن تضمن لأبنائها الحاجات المادية الكافية، كالغذاء والسكن والألعاب والرحلات الترفيهية والعلمية وامتلاك الوسائل التعليمية كالحاسوب والفيديو والكتب والقصص وغيرها، تستطيع من حيث المبدأ أن تزيد من الرصيد اللغوي لدى المتعلمين وتمنحهم إمكانيات كافية للتحصيل العلمي من خلال الممارسات والأنشطة، ومن خلال تفاعل كل هذه المحفزات المادية، يمكن أن تضمن الظروف الموضوعية لتنشئة اجتماعية لغوية سليمة". (وظفة، ع، أ، شهاب، ع، ج، 2004، ص.145)

كما نجد الدراسة التي قام بها روزنتال Rosenthal قد أوضحت علاقة المستوى الاقتصادي باللغة عند الأطفال وقد أشارت الدراسة إلى حقيقة مهمة وهي أن الأطفال من المستويات الاقتصادية الأعلى تتطور لديهم اللغة بشكل أكبر وأسرع ويستخدمون جملاً أطول من الأطفال العاديين والأطفال من المستويات الاقتصادية الأدنى. (فهيم، م، 1998، ص. 52) وباعتبار أن الأسرة بناء اجتماعي متكامل فيه العناصر والركائز الأساسية للمعيشة فإن العامل الاقتصادي يلعب دوراً هاماً ومكملاً لوظائف الأسرة، فالأسر ذات الدخل المرتفع يوفرّون كل الاحتياجات اللازمة لأبنائهم ويعملون على توجيههم بشكل أفضل لتعلم اللغات من خلال ما يوفرّونه من وسائل تعليمية وثقافية التي تساعد بدورها على تنمية المواهب وتنوع الأفكار والمفردات اللغوية كما توسع رصيدهم اللغوي، وبالتالي تمكّنهم من تعلم أساليب لغوية صحيحة.

فالأطفال الذين توفر لهم أسرهم الظروف المادية الأساسية وضروريات الحياة العصرية هم أكثر تقدماً في الأنشطة اللغوية من أطفال الأسر الفقيرة أو ذات الدخل المنخفض فضعف المستوى الاقتصادي للأسرة قد يؤثر سلباً مما ينتج عنه عدة مشاكل تكون سبباً في عرقلة مساره الدراسي ويصبح من بين العوامل التي تحد من قاموسه اللغوي هي نتائج توصلت إليها العديد من الدراسات السوسولوجية التي تناولت مسألة الأصل الاجتماعي والنجاح المدرسي بحيث أكدت على وجود علاقة ترابطية بين النجاح والتفوق الدراسي والأصل الاجتماعي للتلاميذ وأن ضعف القاموس اللغوي يرجع في معظم الأحيان إلى الوسط الاجتماعي الذي ينشأ فيه الطفل.

خاتمة :

في خلاصة هذا المقال يمكننا القول بأن الأصل الاجتماعي للأسرة يساهم بشكل كبير في تعلم الأبناء اللغات الأجنبية وأنه كلما تم التدرج تصاعدياً في المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للأبناء كلما تزايدت احتمالات تفوقهم وتميزهم عن باقي أقرانهم في المدرسة، فالأسرة تؤثر على التنشئة اللغوية للأطفال بتوفير الاستقرار النفسي والاجتماعي والإمكانيات المادية لهم وذلك من خلال وضعها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ونظرتها للحياة ونمط معيشتها والعلاقات السائدة بين أفرادها. فالأصل الاجتماعي يتدخل بشكل أو بآخر في صياغة وتحديد المستوى اللغوي للأبناء لكن يبقى غير كافٍ دون مساهمة عوامل أخرى كـرغبة الأبناء ومدى استعدادهم للتعلم إضافة إلى قدراتهم ومهاراتهم الفردية.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

1. خرما، نايف. حجاج، علي، (1988). اللغات الأجنبية تعليمها تعلمها، عالم المعرفة، الكويت.
2. سميرة، أحمد، (1993)، علم الاجتماع التربوي، (ط 01)، دار الفكر العربي، القاهرة.
3. سبيني، سيرجيو، (1991)، ترجمة: فوزي عيسى، عبد الفتاح حسن، التربية اللغوية للطفل، دار الفكر العربي، القاهرة.
4. شبل، بدران، حسن، بيلوي (2003)، علم الاجتماع التربوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية (ط 01) الاسكندرية.
5. شوفالييه، ستيفان، شوفيري، كريستيان، (2013)، ترجمة: زهرة إبراهيم، معجم بورديو، (ط 01)، الشركة الجزائرية السورية للنشر والتوزيع، سوريا.
6. طعيمة، رشدي أحمد، (2000)، الأسس العامة للمناهج، (ط 2)، دار الفكر العربي، القاهرة.
7. فهيم، مصطفى، (1998)، القراءة مهاراتها ومشكلاتها، مكتبة الدار العربية للكتاب، بيروت.
8. وطاس، أحمد محمد، (1988)، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم العامة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
9. وطفة، علي أسعد، الشهاب، علي جاسم، (2004)، علم الاجتماع المدرسي بنيوية الظاهرة ووظيفتها الاجتماعية، (ط 01)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت.
10. Bazil Brenstein, (1975) **Langage et classe sociale code socio linguistique et control sociale**, pariseditions de minuit
11. Bourdieu, Pierre, (1979) **les trois etates du capital culturel**, Acte de la recherche en sciences sociales, paris.

المجلات:

12. تلي، نسيم، طويل، فتيحة، (2021)، التباين اللغوي واللامساواة الاجتماعية المدرسية قراءة تحليلية في مقاربة الرموز اللغوية لبازل برنشتاين، مجلة علوم الانسان والمجتمع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر، المجلد 10، (العدد 02)، ص.ص. 197-216
13. صديقي، محمد، مهبوبي، اسماعيل، (2021). الرأس مال الاجتماعي وعلاقته باكتساب اللغات الأجنبية الانجليزية نموذجاً، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، الجلفة، المجلد 15 (العدد 01)، ص.ص. 257-272
14. وطفة، أسعد علي، (2013)، اللغة والانتماء الاجتماعي رؤية نقدية في أطروحات بازل برنشتاين، مركز الرافدين للدراسات والبحوث الاستراتيجية. جامعة الكويت